مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN 2170-0370/E-ISSN 8127-2710
المجلد (12) العدد (1) – 2021،ص ص(210-234)

مجالس الحكمة في الدولة الفاطمية وأهدافها المذهبية والسياسية(296-567هـ/ 909-1171م)

The Councils of Wisdom in the Fatimid State and its Doctrinal and Political Goals(567-296A.H/ 909-1171 A.D)

مختار عمارة[1]*

[1] جامعة يحي فارس –المدية (الجزائر)،Am.karim05@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2020/11/08 ؛ تاريخ القبول : 2020/11/14 ؛ تاريخ النشر : 2021/01/13

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في تاريخ الدولة الفاطمية عن موضوع التعليم الموجه والنظامي الذي امتازت به هذه الدولة عن بقية الأنظمة السياسية القائمة آنذاك والذي عرف باسم مجالس الحكمة، هذه المجالس التي كان لها بالغ الأثر في مسار الدعوة والدولة الفاطمية، وكانت مرتكزا أساسيا في نشر عقيدتها المذهبية والسياسية ضمن إطار نفوذها السياسي والجغرافي وخارجه على السواء، وهذا المسعى يتطلب البحث عن ماهية هذه المجالس وخلفيات تأسيسها وإرهاصات ظهورها، والمراحل التي مرت بها تنظيم هذه المجالس ومميزاتها وأبعادها التي جعلت منها نموذجا واضح المعالم للتعليم النظامي المؤسَّس من قبل السلطة السياسية والمدار من قبلها في التاريخ الإسلامي، والغايات التي أُسِّست لأجلها.

الكلمات المفتاحية:مجالس الحكمة؛ علم الباطن؛ التأويل؛ الدولة الفاطمية؛ الدعوة الإسماعيلية؛ التعليم

Abstract

This study aims to search in the history of the Fatimid state for the topic of directed and formal education with which this state was distinguished from the rest of the existing political systems at the time, which was known as the Councils of Wisdom, This systematic education had a great impact on both doctrinal and political Aspects in the Fatimid state, This work requires researching what are the councils of wisdom, the backgrounds of their establishment, the foundations of their emergence, the stages that these councils went through, their advantages and dimensions that made them a clear model for formal education established by the political authority and managed by it in Islamic history, and the Purposes for which it was founded.

Key words: Councils of Wisdom; Knowledge of the interior; Interpretation; the Ismaili daawa; the Fatimid state; formal education.

*المؤلف المرسل.

I- تمهيد :

قامت الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي بعد دعاية سياسية ومذهبية فائقة التنظيم والسرية، واحتاجت خلال مراحل دعوتها ونشاطها في مرحلتي السر والعلن إلى إقامة وتأسيس تعليم مباشر وموجه لتلقين أصول المذهب الإسماعيلي المذهب الرسمي للدولة بخلفيته العقائدية والسياسية، وحشد الأتباع والمستجيبين لتأييد سلطانها، والمنافحة عن وجودها ضد المذاهب والدول المعادية، فظهر ما عرف بمجالس الحكمة التي خصصت لتعليم الفقه على المذهب الإسماعيلي وعلوم الحكمة أو علم الباطن أو التأويل كما يعرف أيضا، والذي كان الأساس الذي ارتكزت عليه دعاوى الفاطميين السياسية والمذهبية، و على هذا الواقع ارتأينا طرح التساؤلات التالية: ماهي مجالس الحكمة؟ وما هي الخلفيات والدوافع التي أدت إلى ظهورها؟ وما هي أهم المحطات التي عرفتها في رحلة تطورها وتنظيمها؟ وماهي أبرز الدوافع التي أُسِّست لأجلها؟

I. ماهية مجالس الحكمة:

الحكمة أو علم الباطن أو عقيدة التأويل كما تسمى عند الإسماعيلية، هي القول بالمعنى الباطني للأشياء، وهو الأساس الذي ارتكزت عليه دعائم المذهب الإسماعيلي في تفسير العديد من النصوص الشرعية ذات المعنى الواضح، وكانت دعامة أساسية كذلك في شرعنة العديد من المرتكزات السياسية التي قامت على أساسها الدولة الفاطمية مثل قضية الإمامة والولاية، ويُرجِع بعض الباحثين تسربها إلى الفكر العقائدي والسياسي الشيعي من مشارب فكرية مختلفة كالمجوسية والمانوية وحتى اليهودية، وقد وضعت أساسا لدعم الدعاية الفاطمية عن طريق إيجاد مخرجات وأوجه أخرى لتفسير القرآن الكريم والسنة النبوية بما يبرز أحقية البيت العلوي في الإمامة[1].

ويختلف التأويل لدى الإسماعيلية عن التفسير بمعناه الصحيح لدى عامة الفرق الإسلامية الأخرى، لأن التفسير هو جلاء المعنى لكل غامض لا يُفهم معناه، والتفسير بنظر الإسماعيلية يمثل الأمور الشرعية الظاهرة، بينما اعتبروا التأويل يمثل علم الباطن أو الحكمة، وعلى هذا الأساس جعلوا الدين قسمين ظاهر وباطن، لا يتم أحدهما دون الآخر، وجعلوا

الظاهر يمثل المعلوم من أركان الإسلام والإيمان، بينما خصصوا الباطن لتأويل النصوص القرآنية والأحاديث النبوية لتبرير إمامة الفاطميين والاستدلال لها[2]، واعتبروه ملكا لعلي بن أبي طالب ﷺ وأبنائه، فهو في اعتبارهم العلم اللدني قرين القرآني الذي نقله النبي ﷺ لعلي ﷺ ليتوارثه الأئمة من بعده، وأن هؤلاء هم خزنة هذا العلم دون سواهم[3]، فنقلوا عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا صاحب التنزيل وعلي صاحب التأويل»[4]، وقوله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب»[5]، وقوله: « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا»[6]، وقد اختصوا الأئمة بمعرفة هذا العلم باعتبار الإمام هو صاحب التأويل والنبي صاحب التنزيل، واستمدوا وجوب التأويل من القرآن الكريم، وأهم آية يعتمدون عليها في إثبات وجوب التأويل هي قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[7].

وكان هذا التأويل أو علم الباطن يتم تحت إشراف الإمام الإسماعيلي نفسه أو حجته[8] خوفا من التغيير فيه[9]، فقبل قراءته على الناس كان داعي الدعاة يتلوه على الإمام ويأخذ علامته بظاهره، والهدف من هذه التأويلات الباطنية تأييد حق الإمامة الفاطمية حتى يتوطد بطريقة إيمانية في النفوس غير قابلة للنقاش[10]، ومع أن القرآن المصدر الأول للتشريع في الإسلام لا يشير بأي وجه من الأوجه للإمامة الفاطمية، لكن بفضل التأويل فإنه يؤيدها بحيث يظهر الإمام في جوهر العقيدة وأساس السلطة السياسية.

ومجالس الحكمة أساسا هي مكان جلوس الداعي إلى أتباعه الداخلين في الدعوة في وقت معلوم من الأسبوع لتدارس هذا العلم الباطني[11]، وكان عقد هذه المجالس من أجلّ وأهم أعمال الدعاة، وبالإضافة للمجالس المخصصة لعلم الباطن أو الحكمة، كانت هناك مجالس مخصصة لدراسة الفقه على المذهب الإسماعيلي[12].

II. دوافع وخلفيات تأسيس مجالس الحكمة:

نشأت الحركة الإسماعيلية بخلفية سياسية وعقائدية خاصة في فترة من التاريخ الإسلامي عرفت ظهور مذاهب مختلفة على الساحة الإسلامية فرقت المسلمين إلى أحزاب ومذاهب متباينة، إلى أن بلغ الأمر في القرن الرابع الهجري إلى قيام ثلاث أنظمة خلافية متصارعة بينها حول الأحقية في حكم المسلمين، وهذه المذاهب والدول التي قامت في أنحاء العالم الإسلامي حتى ذلك العصر تختلف فيما بينها اختلافا تاما من حيث الهدف السياسي الذي ترمي إليه، والهدف المذهبي الخاص الذي تحرص عليه أشد الحرص.

وكان الهدف السياسي للفاطميين هو نفسه هدف الشيعة كلهم والذي رسموه لأنفسهم منذ أصبح التشيع مذهبا سياسيا، وهو تكوين دولة إسلامية جديدة تستطيع أن تنسخ دولة الخلافة الإسلامية السنية وتقوم مقامها، وتسيطر على العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه، بينما ارتبط الهدف المذهبي بالهدف السياسي وهو صبغ المسلمين جميعا بهذه الصبغة الشيعية الخاصة وأخذهم بعقائد المذهب الإسماعيلي، فينسخ هذا المذهب سائر المذاهب الإسلامية، كما تنسخ الدولة الفاطمية دولة الخلافة العباسية[13].

على الأساس السابق اعتبر الفاطميون التعليم أحد الركائز الأساسية لنشر أفكارهم ومعتقداتهم السياسية والمذهبية بين العامة، لأنهم انخرطوا في صراع مذهبي وأيديولوجي مع بقية المذاهب الأخرى، لذلك أعطى الفاطميون أهمية قصوى لصياغة وتوضيح عقيدتهم عن طريق التعليم بالخصوص[14]، فمن أجل أن يستوعب الداخلون في هذا المذهب أحكامه ومعتقداته كان لزاما على الفاطميين اتباع سياسة تعليمية تمكنهم من نشر مذهبهم، واعتمدوا في هذا على دعاة محنكين وفلاسفة تغلغلوا إلى أماكن التعليم القائمة[15]، ولأن فاعلية حلق التعليم والاستماع تسمح بعرض وتكرار موضوعات الدعاية السياسية الصادرة عن السلطة وتفسيرها، فقد كانت الآراء السياسية في أحيان كثيرة موضوع الدرس والمناقشة ومحور المناظرات الكثيرة في ذلك العهد خاصة ما تعلق بموضوع الخلافة والإمامة[16].

فلا يمكن إذا تجاهل عامل انتشار المذاهب الدينية والسياسية في العالم الإسلامي والصراع المتنامي بينها، ومساهمته بدور كبير في توجيه جهود الأنظمة الإسلامية إلى إقامة

تعليم حكومي مدعوم من طرف السلطة، ثم ظهور فكرة إنشاء مؤسسات تعليمية متخصصة[17] في محاولة من أتباع كل مذهب نشر مذهبهم والقضاء أو على الأقل تحجيم المذاهب المخالفة الأخرى[18]، وإيجاد طبقة من العلماء والمتعلمين ذوي الولاء للنظام القائم ودمجهم في مختلف الوظائف التعليمية والقضائية والحكومية[19]، أي أنه كانت هناك عدة حاجات ملحة وضرورية تفرض على الفاطميين إنشاء نظام تعليمي خاص، فبالإضافة إلى الأهمية التي ينطوي عليها التعليم في نشر مبادئ مذهبهم بخلفياته العقائدية والسياسية، ظهرت الحاجة إلى مواجهة المذاهب الأخرى والتصدي لها.

III – إرهاصات ظهور مجالس الحكمة:

III –1– في الفترة المغربية:

منذ انطلاق الدعوة الفاطمية بالمغرب، طلب أبو عبد الله الشيعي والذي كان يعرف بالمعلم من أتباعه من قبائل كتامة أن يخلو له موضعا للسماع، وكانوا يقيمون ضيافة من يأتيه للسماع عنه ودعوته وينفقون في ذلك[20]، (وكان أبو عبد الله يتعاهد أتباعه بالوصايا والتذكرة ويكرر عليهم بالمواعظ والحكمة ويجمعهم على ذلك ويجلس لهم أكثر أيامه، ويأمر من أطلقه من الدعاة بذلك ويربيه عليه، فكانت أيامه أكثرها مشاهد وسماع ومواعظ)[21].

ولما استقر الأمر لعبيد الله المهدي وتوطد ملك الفاطميين بالمغرب وجه اهتمامه ناحية التعليم، وأقام الدعاة لنشر المذهب الإسماعيلي المذهب الرسمي للدولة وتحويل المغاربة إليه، من أجل إيجاد أرضية ومرتكز قوي يضمن بقاء الدولة، وحشد التأييد العام أمام الخصوم السياسيين في المشرق والأندلس، فأقام المجالس للسماع والمناظرات[22]، وقد شهدت هذه المجالس مناظرات حادة بين علماء السنة المالكية وعلماء الإسماعيلية بحضور كبار الدعاة مثل أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبو العباس[23]، وأحيانا بحضور الخليفة عبيد الله المهدي، ما يدلنا على مكانتها المهمة في الأجندة السياسية الفاطمية لنشر نفوذهم في أوساط العامة، حيث كانت تنتشر أخبار هذه المناظرات ويتناقلها الناس في سائر أرجاء إفريقية وتتردد على الألسن[24].

ونظرا للاضطراب السياسي الذي عرفته الدولة الفاطمية منذ عهد القائم بأمر الله إلى غاية نهاية حكم المنصور بالله على خلفية انشغالهم بثورة أبي يزيد الخارجي، لم يكن التعليم وما تعلق به أولوية في حديث المؤرخين المتقدمين، وما إن تولى المعز لدين الله سدة الخلافة الفاطمية وجه اهتمامه ناحية التعليم، وأعاد مجالس الحكمة بالمغرب وكلف قاضيه النعمان للقيام بدروسها[25]، وتولى في أحيان كثيرة تعليم شيعته بنفسه[26]، كما كان يجمع بين علماء الإسماعيلية وغيرهم من مخالفيهم سواء من المالكية أو الإباضية أو المعتزلة للمناظرة في مجالس يعقدها بنفسه في القصر[27].

وكان المعز يوما في مجلسه مع وجوه كتامة حوالي سنة 347هـ/958م، فذكر لهم ما مضى من أسلافهم وترحم عليهم وحضهم على ما كانوا عليه من الرغبة في العلم والحكمة وطلبهم والمواظبة عليهم، (فذكروا له مواظبتهم على ذلك واجتماعهم في كل يوم جمعة وغيرهم من الأولياء بالجامع لشهود الجمعة والتهجير إليها، ثم مقامهم بعد انقضاء الجمعة لسماع الفقه والمناظرة فيه قبل انقضاء صلاة العصر، ثم مغادرتهم بأجمعهم ومن عسى فاتته صلاة الجمعة منهم إلى القصر لسماع الحكمة)[28].

وقد حدثهم المعز في هذا المجلس عن نيته في تطوير التعليم ونشر مجالس الحكمة على نطاق أوسع مما هو عليه الحال وما كان عليه في عهد سابقيه، بحسب ما أوجبه الزمان وجرت به الحكمة في عصرهم وعصره[29]، ولعل استقرار الأمور في عهده عكس سابقيه ساهم في توجه المعز إلى الإهتمام أكثر بالتعليم.

III -2- في الفترة المصرية:

بعد انتقال الفاطميين إلى مصر أصبحت القاهرة حاضرة الفاطميين مركز الدعوة الإسماعيلية في العالم الإسلامي، ويذكر النعمان في كتابه المجالس والمسايرات أنه تولى القيام بمجالس الحكمة في أول الأمر في القصر بعد انتقالهم إلى مصر دون أن يشير إلى السنة التي ابتدأ فيها، وكل ما يذكره أن المعز لدين الله أخرج له كتبا في علم الباطن وأمره أن يقرأها على الناس في كل يوم جمعة في مجلس في القصر، لكن إذا تتبعنا القرائن التاريخية يمكن أن نحدد ذلك بين سنتي 362هـ/972م و364هـ/974م، فالتاريخ الأول هو تاريخ انتقال

الفاطميين إلى مصر والتاريخ الثاني هو سنة وفاة النعمان بن محمد، كما ذكر كثرة من حضر المجلس حتى صاروا إلى حيث لا ينتهي الصوت إلى آخرهم، ولم يفرق بين الناس في مجالس مميزة في بداية الأمر، بل كان الجميع يحضرون في نفس اليوم وفي نفس المكان[30].

ثم توسعت بعد ذلك وصارت تلقى بالجامع الأزهر منذ سنة 365هـ/975م، ففي هذا العام جلس القاضي علي بن النعمان[31] في الجامع وأملى مختصر أبيه في الفقه على المذهب الإسماعيلي المعروف بـ"الإقتصار"، في جمع حافل من العلماء والأكابر وكانت هذه أول حلقة للتعليم الفاطمي بالأزهر[32].

توسع الفاطميون بعد هذا في تنظيم التعليم ومراقبته والإنفاق عليه، ففي سنة 378هـ/988م شهدت مصر في عهدهم محاولة جدية لترتيب دروس منظمة في الجامع الأزهر بالخصوص، حيث عين الوزير يعقوب بن كلس[33] سبعة وثلاثين فقيها، كانوا يتحلقون كل يوم جمعة بالجامع بعد الصلاة ويتكلمون في الفقه على المذهب الإسماعيلي حتى وقت العصر، ورتب لهم الخليفة الفاطمي العزيز بالله أرزاقا وجرايات شهرية، وأقام لهم دارا للسكنى بجوار الجامع الأزهر، ويقول المقريزي: (وهي أول مرة يقام فيها درس بديار مصر بمعلوم جار من قبل السلطان)[34].

بالإضافة إلى المسجد الأزهر الذي شيّد في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله والذي أصبح مركز نشر الفكر الإسماعيلي، فتح الحاكم بأمر الله[35] في سنة 395هـ/1004م دار الحكمة (أو دار العلم كما تعرف كذلك) بالقاهرة، وعيّن لها الفقهاء والقراء وأصحاب النحو واللغة وغيرهم بعد أن هيأت بالفرش والأدوات الضرورية للنساخ والمعلمين وطلبة العلم كالمحابر والأقلام والورق، وأقيم بها خدام وموظفون يقومون بشؤونها وشؤون مرتاديها، وحملت إليها الكتب من خزائن القصور في مختلف أصناف العلوم، وأبيح لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم قراءة هذه الكتب ونسخها والاستفادة منها، وحضور حلق الدروس ومجالس الحكمة والمناظرة التي كانت تجري بين أروقتها بحضور الحاكم بأمر الله الذي أجرى الأرزاق على موظفيها الدائمين والزائرين إليها على السواء[36].

ولعل هدف الحاكم بأمر الله الذي أنشأ دار الحكمة وقام بتنظيمها بصورة تستخدم فيها جميع الكفاءات المتوافرة في الدولة، لم يكن إلا لدعم الإتجاهات المذهبية والسياسية التي يؤيدها الخلفاء الفاطميون في إطار مسعاهم للسيطرة فكريا وسياسيا على العالم الإسلامي عن طريق تأهيل الدعاة في مدارسهم، وبخاصة في دار العلم أو دار الحكمة التي أسست في الأصل لخدمة المذهب الإسماعيلي المذهب الرسمي للدولة، ودفعهم في مختلف بلاد الإسلام ليبثوا العقيدة الإسماعيلية الفاطمية ويمهدوا بهذه الدعاية الدينية للنفوذ السياسي بصفة فعالة ومنظمة أكثر[37].

IV- مميزات مجالس الحكمة:

IV- 1- التنظيم والشمولية:

لم تكن هذه المجالس مخصصة لفئة دون أخرى، بل كانت شاملة لكل فئات المجتمع حتى الغرباء والطارئون منهم على مصر، فكان يحضرها خاصة الناس وعامتهم من الرجال والنساء على السواء، كما كان يدعى إلى مجالس الحكمة في مصر من البلدان الأخرى رجال من ذوي المكانة في بلدانهم، بقصد جعلهم دعاة للعقيدة الفاطمية في بلدانهم وأدوات طيعة لخدمة أغراض السياسة الفاطمية العالمية.

ولا نعلم على وجه اليقين كيف أو أين كانت تقام مجالس الحكمة في دور الستر، وكل ما وجدناه حول مجالس أبي عبد الله الشيعي كان معلومات عامة وغير مفصلة، حيث يذكر النعمان أن بني سكتان أقاموا له موضعا لتعليم أتباعه والداخلين في الدعوة بأمر منه، وأنه خصص جزءا مهما من وقته للتعليم الذي عمّمه على كل أتباعه ومريديه من كلا الجنسين ومن كل الطبقات والأعمار دون استثناء[38]، وقد أورد المؤرخون الفاطميون جملة عن أبي عبد الله الشيعي وهو يخاطب المهدي مبينا دور التعليم في الدعاية الإسماعيلية قائلا: (إني قد قومت هؤلاء الكتاميين وأجريتهم على ما أردت من التقويم، وأخذتهم على ترتيب وتعليم، فاستقام لي أمرهم وجلب نفعهم ودفع ضرهم)[39].

والشذرات المتفرقة في المصادر التاريخية حول الفترة المغربية تعطينا صورة غير مكتملة حول هذا الأمر، إذ يتضح أنها كانت تقام في القصر الفاطمي محل إقامة الخليفة في عهد

المهدي وبحضوره أحيانا وبإشرافه الغير مباشر في أحيان أخرى، وكانت تقام في عهد المعز لدين الله يوم الجمعة لاجتماع عامة الناس لأداء الصلاة، حيث كانت الفترة المخصصة للفقه على المذهب الإسماعيلي تمتد من صلاة الجمعة إلى صلاة العصر بالمسجد، بينما كانت مجالس الحكمة وما تعلق بالتأويل تقام بالقصر بعد صلاة العصر[40].

أما في مصر فقد اشتهر القاضي النعمان بعقد مجالسه يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع في مكان خاص بالقصر يسمى (المحول)، وهو القاعة المخصصة لعقد مجالس الحكمة، وكانت أشبه بقاعة المحاضرات في وقتنا الحالي، وكان من أعظم المباني وأوسعها ويعرف بقصر البحر ومن اتساعه كان الداعي يصلي بالناس في رواقه إذا حضرت الصلاة في أوقات الإجتماع[41].

ونظرا لاتساع وشمولية مجال الدعاية الفاطمية كانت تحتاج إلى عقد مجالس عديدة لاستيعاب العدد الكبير من الراغبين فيها، فخصص لهذه المجالس في أول الأمر يومان في الأسبوع يومي الخميس والجمعة[42]، ثم أصبحت ثلاثة أيام فكان لعامة الرجال يوم الأحد وللنساء يوم الأربعاء وللأشراف وذوي المكانة يوم الثلاثاء، ثم أصبحت هذه المجالس تعقد كل يوم، فكان مجلس للخاصة ومجلس للموظفين ورجال القصر، ومجلس لعامة الناس ومجلس للطارئين على البلد ومجلس لعامة النساء ومجلس لحريم القصر، وأصبحت تلقى في أماكن متعددة لا في مكان واحد، فكانت تقرأ بمكانين بقصر الخليفة واحد للرجال في القاعة ذات الأعمدة (الإيوان) والثاني للنساء في (المحول)[43].

ويذكر المقريزي حادثة وقعت سنة 385هـ/995م تبين حجم الإقبال على الدروس والمجالس التي رتبها الفاطميون، وذلك لما حضر القاضي محمد بن النعمان[44] لعقد مجلس الحكمة كالمعتاد في القصر في ربيع الأول من هذه السنة، كان من شدة الزحام أن مات أحد عشر رجلا[45]، وتكرر هذا الأمر سنة 395هـ/1004م حيث زاد إقبال الناس رجالا ونساء من المدن والدور والضياع على مجالس الحكمة حتى مات في الزحام عدة من الناس[46].

وذكر النعمان أنه لما كلف من طرف المعز لدين الله بعقد مجالس الحكمة للناس، (أقبلوا من كل أفق يقطعون البحار والقفار من أجل ذلك، وصارت لهم بكل مصر جماعة وألفة واجتماع على طلب العلم والحكمة)[47]، ويلاحظ أن مجالس الحكمة على كثرتها وانتشارها في الآفاق إلا أن مضمونها كان متشابها، حيث يشير النعمان دائما أن المعز لدين الله بث في هذه المجالس ما يقرأ فيها، وأنه بعث إلى الدعاة والأتباع في مختلف البلدان المعنية بالدعوة الإسماعيلية ما يتدارسونه[48]، ما يشير إلى ارتباط مجالس الحكمة الفاطمية في مختلف البلدان ببرنامج الخليفة الفاطمي في مقر إقامته.

ونظرا لأن هذه المجالس لم تقتصر على دراسة المذهب في محاضرات أو دروس مبسطة علنية، فقسمت إلى عدة درجات أو مراحل متدرجة مرحلة بعد مرحلة تتسم بالسرية خوفا من اختلاطها أو التغيير فيها، ولم يكن المستجيبون لها ينتقلون من درجة دنيا إلى ما فوقها إلا إذا درسوا كل نواحيها ومعانيها الباطنية والفلسفية، فلا يلقي الداعي على المستجيبين الجدد نفس المضمون الذي يلقيه على مقربيه وغيرهم ممن رسخت قدمهم في المذهب، ويختلف حسب مرتبة الحاضرين ومكانتهم[49]، وكان التقليد المتبع في هذا الصدد أن يقوم الداعي يتلقين المستجيبين أمور العلم الظاهرة شيئا فشيئا ويكرر عليهم، ثم ينتقل بهم في مراتب التأويل وتفسير باطن النصوص[50].

IV-2- التطرق للمواضيع السياسية:

وضعت المصنفات الفاطمية العقائدية والفقهية وغيرها للإحتجاج لأحقية الفاطميين في الخلافة، ولقنت في المساجد ومجالس التعليم، ودعمتها السلطة السياسية من أجل الترويج لهذا الفكر والدعاية للمنظومة السياسية الفاطمية وتأكيد شرعيتها، حيث وجدنا غلبة المواضيع السياسية وخاصة موضوع الإمامة على كثير من مجالسهم ودروسهم، كذلك الولاية أو التقية أو التأويل وغير ذلك من مبادئ العقيدة والدعاية الفاطمية، وامتلأت مصنفات علماء الفاطميين ودعاتهم بها والتأكيد عليها وحصر الإسلام فيمن عرفها وآمن بها، من بينها مؤلفات القاضي النعمان الفاطمي التي كان يقرأها ابنه علي بن النعمان في المسجد الأزهر[51]، ومؤلفات يعقوب بن كلس الوزير صاحب الرسالة الوزيرية، التي كان يقرأها كل جمعة في مجلس من العلماء والمريدين وغيرهم من رجال الدولة، كما طلب بعض الخلفاء من

الناس أن يحفظوها وشجع على ذلك بمنح أموال لمن يحفظها[52]، وما ذلك إلا لتشجيعهم على تلقي أصول العقيدة الفاطمية ونشر مبادئها الدينية والسياسية ضمن حركتهم الدعائية.

وعلى الرغم من أن التاريخ لم يحفظ لنا ما كان يدرس في مجالس أبي عبد الله الشيعي قبل قيام الدولة، بل كل ما وصل إلينا في هذا الصدد أنه طرق المواضيع المتعلقة بفضائل علي بن أبي طالب ﷺ وذريته[53]، وحقهم في الإنفراد بالإمامة مستعينا بلا شك بالأحاديث والآيات المؤولة تأويلا بارعا، وهي مواضيع سياسية تهدف إلى تهيئة الأذهان إلى سلطة أحد أبناء العلويين المتمثل في شخص المهدي، كما نجد في كلام النعمان إشارة أخرى للمواضيع التي كان يطرقها الداعي والتي تنوعت بين الذكر والحكمة والأدب والسياسة[54]، وأخذ يتدرج بهم في تلقين أصول المذهب شيئا فشيئا (فإذا رأى الواحد منهم بعد الواحد قد لقن عنه وأحس فيه ما يريده، ألقى إليه شيئا بعد شيء حتى يجيبه فيأخذ عليه)[55]، أي يأخذ عليه عهد الإنضمام إلى الدعوة الإسماعيلية.

وكل ما نعلمه عن مجالس الحكمة في عهد المؤسس لا يكفي لإعطاء صورة واضحة عنها، وكل ما وجدناه في هذا الصدد ما أورده الخشني في ترجمته لابن الحداد[56] حول مناظراته مع أبي العباس المخطوم وأخيه أبي عبد الله الداعي في مجالس كان يحضرها وجوه الناس وعامتهم، وقد تناولت هذه المناظرات فضل علي بن أبي طالب ﷺ وآل البيت وأحقيتهم في الإمامة، وحديث غدير خم وشرعية الفاطميين في الخلافة وأمثالها من المواضيع المتعلقة بالجانب السياسي[57]، إضافة إلى ما أورده القاضي عياض في ترجمته لابن التبان في مناظراته مع دعاة الفاطميين بمحضر من والي القيروان عبد الله المختال، والتي كانت تتمحور حول أحقية علي بن أبي طالب ﷺ في خلافة النبي ﷺ وتفضيله على سائر الصحابة ﷺ[58].

وما كان يلقيه النعمان بن محمد في مجالس الحكمة محفوظ في كتاب جمعه وسماه بتربية المؤمنين بالتوفيق على حدود باطن علم الدين، أو ما يعرف اختصارا بتأويل الدعائم، ويذكر في هذا الصدد أيضا أن المعز لدين الله أخرج له كتبا في علم الباطن وأمره بقراءة علوم أهل البيت وأنه بعث إلى سائر الدعاة في مختلف الأقاليم بنفس الأمر دون أن يضيف شيئا حول مضامين هذه الكتب أو عناوينها[59]، وهناك مصنف آخر لأحد كبار الدعاة الذي تولى مهام التعليم في مجالس الحكمة في عهد المستنصر بالله، والإشراف على الدعاية والتعليم في

مختلف جزر الدعاية، ألا وهو كتاب المجالس المؤيدية لداعي الدعاة المؤيد في الدين الشيرازي، وتعطينا هذه المجالس صورة واضحة عما كان يدرس في مجالس الحكمة الفاطمية.

– أهم المواضيع السياسية الواردة بمجالس الحكمة:

– الولاية والوصاية: من بين المواضيع التي طرحها الدعاة الفاطميون بكثرة في مجالسهم هي ولاية الإمام علي بن أبي طالب ﷺ الخليفة بعد رسول الله ﷺ، ومن بعده ولده ثم الخلفاء الفاطميين باعتبارهم أحفاد الرسول ﷺ عن طريق ابنته فاطمة الزهراء والإمام علي بن أبي طالب، وهي أحد مبادئ الشيعة عامة والفرقة الإسماعيلية خاصة، ولا يكاد الدعاة يجدون فرصة في معرض كلامهم إلا تطرقوا إلى موضوع الولاية والإمامة، حتى أنهم يحيدون أحيانا عن نسق الموضوع المطروح في المجلس، وإن كانت مواضيع المجلس لا تسير وفق برنامج محدد كما لاحظنا، بل أحيانا يكون الموضوع موافقا لمناسبة طارئة أو حدث جارٍ أو غيرها، لكن ما يهمنا من هذه المجالس كيفية استغلالها لتمرير الأفكار السياسية حول الولاية والخلافة(60).

– الإمامة: كانت الإمامة شعار الدولة الفاطمية ودعامة رياستها الدينية والزمنية، تؤكد أهميتها وقداستها في كل مناسبة، وتحرص أشد الحرص على رسومها ومظاهرها، ولا غرو فقد كانت الإمامة منذ البداية أهم مبادئ الدعاية الفاطمية وأرسخ قواعدها، وملاذها الذي انضوت تحت لوائه وحاولت أن تؤكده وتدعمه بسائر الوسائل السياسية والمذهبية، ولم تدخر وسعا في أن تستمد أسانيدها بتأويل القرآن الكريم ذاته، ومن اختلاق الأحاديث النبوية أو تأويلها هي الأخرى كذلك لتسبغ على مسألة الإمامة جوا من الإيمان والقدسية يسمو إلى مرتبة النبوة ذاتها، وقد حاول فقهاء الشيعة عموما ورواتهم ودعاتهم منذ عصر مبكر أن يخلقوا هذا الجو القدسي حول الإمامة في كتبهم ورسائلهم العديدة وفي مجالس الحكمة وغيرها(61).

وقد حظي موضوع الإمامة باهتمام كبير في مجالس الدعاة، فكل المجالس التي يتطرق الدعاة الفاطميون فيها لموضوع الإمامة يكون بصورة تأويلية، لعدم وجود آيات أو أحاديث صريحة في هذا الباب، والهدف منها تثبيت الإمامة في أذهان المستجيبين الجدد باعتبارها أهم مبادى المذهب الإسماعيلي(62).

لعل أبرز ما نلاحظه بعد سرد هذا المثال البسيط محاولة الدعاة الفاطميين من خلال طرحهم الديني تثبيت وتبرير البعد السياسي لمذهبهم المتمثل في قضية ولاية أهل بيت النبي

ﷺ، وإمامة علي بن أبي طالب ﷺ والخلفاء الفاطميين من بعده، ما يمنح الدولة الفاطمية شرعيتها دون سواها من الأنظمة القائمة، والاستشهاد دائما في مجالسهم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية لاسيما المروية عن أهل البيت، والاستعانة بالتأويل لتفسير الآيات والأحاديث التي استدلوا بها للاحتجاج لمذهبهم السياسي(63).

IV-3- إشراف السلطة السياسية:

كانت مجالس الحكمة أنموذجا للتعليم الحكومي الذي تشرف عليه السلطة السياسية، إذ أشرف الفاطميون على الدروس والمقررات التي كانت تلقى على المستجيبين في هذه المجالس، وفي تعيين الدعاة والفقهاء لهذا الغرض، وفي تمويل هذا التعليم والإنفاق عليه، وسعي السلطة إلى تعميمه على كافة فئات المجتمع، وترغيب الناس في هذا بمختلف الوسائل، حتى جعل بعض الخلفاء الفاطميين جائزة مالية لمن يحفظ مؤلفات النعمان بن محمد والوزير يعقوب بن كلس في الفقه على المذهب الإسماعيلي(64).

ويرتبط هذا المسعى أساسا بالهدف السياسي الذي كانوا يرمون إليه من وراء التعليم، وقد لاحظنا أن دعاة الفاطميين يذكرون دائما أنهم يكتبون مؤلفاتهم ومواضيع دروسهم بأمر من الخليفة، أو أنه أخرج لهم كتبا وأمرهم بنسخها أو تدريسها، فالنعمان يشير أن المعز لدين الله أخرج له كتبا ليقرأها على الناس ولم يترك له مجالا للاجتهاد واختيار ما يُدرّس، وأنه بعث إلى سائر الدعاة في مختلف الأقاليم بنفس الأمر، وكذلك الشيرازي ذكر صراحة أنه يقرأ ويشرح ما أُخرج له(65).

والسر وراء هذا أن الفقه الإسماعيلي أو الشيعي عموما لا يعترف بالقياس ولا يعمل به(66)، بل يؤكد الإسماعيلية أن العلم وفهمه وتفسيره هو حق وميزة للأئمة من آل البيت وحدهم، وأنهم قد ورثوا هذا العلم صاغرا عن كابر عن علي بن أبي طالب ﷺ الذي ورثه عن النبي ﷺ (67)، وهذا الإدعاء يحصر العلم الحقيقي والصادق بالنسبة للإسماعيلية في الإمام وحده، ويحصر الأخذ عنه دون سواه من أهل الضلال ويُقصَد بهم المذاهب المخالفة خاصة أهل السنة وغيرهم، وبذلك تصبح المؤسسة التعليمية الفاطمية التي تعمل بتوجيه إمام حي ودعاته المعيّنين هي الوحيدة الصادقة والحقيقية(68).

وهذا العلم اللّدني الذي يحوزه الإمام والذي هو التعليم الوحيد الصحيح والمقبول، قد علمه لمن دونه من الدعاة والمعلمين الذين يتصدون لتعليم العامة من المستجيبين(69)،

فأصبحت بذلك السلطة السياسية هي مصدر كل ما يلقى في هذه المجالس، وقد استخدم لبث أجندتها السياسية في قالب ديني في أغلب الأحيان.

V- أهداف مجالس الحكمة:

من المتعارف عليه أن مراكز التعليم تتولى مهمة التوجيه بعد الأسرة، باعتبار أن الطالب يقضي قسما مهما من حياته فيها، ويكون لها دور كبير في مجال تكوين المواقف والاتجاهات الخاصة بكل فرد، خاصة وأن المجتمع في ذلك الوقت كان حريصا على تحصيل العلم لوجوب ذلك شرعا، لذلك ارتبط التعليم في أحيان كثيرة بمصالح السلطة السياسية، واستندت العديد من الأنظمة السياسية إلى مدارس ثقافية وتيارات فكرية تدعم وجودها، وقد تبلورت مدارس فكرية وأحزاب سياسية ذات أبعاد دينية وسياسية وثقافية وصار لها منظرون سياسيون وفقهاء شرعيون(70).

ولهذا أولى الفاطميون كما رأينا أمر التعليم بالغ الأهمية واعتبروه من اهتمامات الدولة، فرتبوا له المراتب ضمن إدارتها وخططها وحرصوا على تكوين دعاتهم في مختلف العلوم العقلية والنقلية، ما ينبئ عن مدى درايتهم بدور التعليم في نشر فكرهم السياسي والمذهبي(71)، والملاحظ أن اشتغال الفاطميين بالفكر الفلسفي التأويلي، وتسخيرهم إمكانيات هائلة على التعليم والتأليف في هذا المجال ليس من أجل التعلم فقط، بل استراتيجية التعليم الفاطمية وظفت لصالح الفكر المذهبي وهو بدوره سخر لأغراض سياسية.

وتتمثل هذه الأغراض السياسية أساسا في تأييد الإمامة الفاطمية، فقاموا بتشجيع علمائهم ومفكريهم على الاشتغال بعلوم الحكمة والحرص على تنظيم الدروس والمناظرات، والاهتمام بعلوم الباطن والتي يكشف عنها التأويل الذي من خلاله تتأيد الإمامة الفاطمية ويبدو الإمام في جوهر العقيدة، هذه التأويلات كانت أداة واضحة لتحقيق أغراض السياسة وتدعيم السلطان الزمني الذي سعوا إلى تحقيقه زهاء قرن من الزمن، والذي كانت الخلافة الفاطمية أعظم مظاهره المادية(72)، فمن الواضح إذا أن معظم تلك التأويلات الباطنية إن لم

تكن كلها كانت تتجه دائما إلى تعزيز نظرية الإمامة وتقديسها واعتبارها المحور الأساسي الذي تدور حوله قواعد الدين والإيمان[73].

وقد تجلت الغاية السياسية/المذهبية من وراء تنظيم مجالس الحكمة قبل قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب، ثم تعززت بقيامها وانتقالها إلى مصر[74]، وبتأييد الإمامة الفاطمية يصلون إلى هدف آخر وهو حشد التأييد السياسي لدولتهم القائمة في المغرب ثم مصر، لأن تلقين أصول المذهب الإسماعيلي بمبادئه السياسية حول الإمامة يهدف إلى جمع الناس حول الإمام الفاطمي ونبذ المذاهب الأخرى وأئمتهم، من هذا المنطلق تكونت صلة وثيقة بين التعليم والأهداف السياسية التي كانت تسعى إليها السلطة الفاطمية وأصبح أداة ضرورية لنشر فكرها السياسي وتعميمه[75].

وكانت تهدف أيضا هذه الجهود المبذولة من قبل السلطة الفاطمية سواء بصفة رسمية أو غير رسمية، إلى تكوين شخصيات سياسية تتطابق مع الفكر والتوجهات السياسية للدولة، بمعنى تكوين ولاء للنظام القائم لدى الأفراد، وهو ما يعرف بالتربية السياسية في العصر الحالي[76]، لهذا كانت عملية مستمرة لم تقتصر على مرحلة عمرية أو فترة دراسية معينة، كما لم تقتصر على فئة من الناس دون أخرى وإن اختلفت المناهج المقدمة لكل فئة، وهذا بهدف تغيير الخلفيات الفكرية لدى الأشخاص وأحكامهم التقييمية من أجل توليد تصرفات جديدة نابعة عن الفكر الجديد الذي غرس فيهم، وبالتالي تغيير تصرفاتهم نحو المنحى الذي يرجوه القائمون على الدعاية والمؤسسة السياسية.

VI- خاتمة:

اشتملت مجالس الحكمة الفاطمية على أبعاد ثلاثة تشكل حاليا مفهوم التعليم النظامي أو الحكومي وجوهره، يتمثل البعد الأول في الهياكل والمنشآت التي سخرت لهذا الغرض، والتي تمحورت في هذا العصر في المساجد بصفة خاصة وأهمها الجامع الأزهر وباقي أماكن العلم خاصة دار العلم والقصر الفاطمي، والبعد الثاني في البرامج التعليمية ومضامينها والتي كانت تلقى بهذه المنشآت والتي تمحورت أهدافها حول تأييد الخلافة الفاطمية وأحقيتها في الإمامة، والبعد الثالث في الموارد البشرية المكلفة بتقديم هذه البرامج وتلقينها والقيام بمهام التدريس بهذه المنشآت وفق تلك البرنامج، وهذا ما يعطي المفهوم الواسع لكلمة التدريس،

وتدخل السلطة الفاطمية في إنشاء هذه الهياكل وتحديد البرنامج الدراسية والإنفاق على المعلمين وتعيين الدعاة المكلفين بهذه الدروس هو ما يعكس المفهوم النظامي والحكومي، إذ لم يترك لاجتهاد الأفراد.

وتمحور الهدف من وراء هذا التنظيم الحكومي للتعليم إلى دعم المذهب الإسماعيلي المذهب الرسمي للدولة الفاطمية عن طريق الحصول على أكبر عدد من الأتباع لأنهم مادة المذهب وقوته، ومواجهة المؤسسات التعليمية للمخالفين ومحاولة تقليص نفوذهم المذهبي والسياسي، والدعاية للدولة الفاطمية وإمامتها السياسية، والمنافحة عن أحقية وجودها وشرعيتها ودحض دعاوى الخصوم.

وعلى هذا الأساس كان لمجالس الحكمة أهمية عظيمة لأنشطة الدعاية التي كانت ترعاها الدولة الفاطمية، حيث كان تعليم العقيدة المذهبية المتبناة من طرف السلطة والراعية لها، متوافقا مع ما ترجوه من نشر وتدعيم المبادئ التي قامت عليها السلطة، وهذا الدور لم يكن متنافرا مع مضمون البرامج الموجهة للدرس في هذه المجالس، وهكذا يبدو أن المرتكز الرئيسي للدعاية الفاطمية تمثل في توفير تعليم محدد يقوم على تثبيت الفكر السياسي والمذهبي الإسماعيلي للمستجيبين، وحشدهم تحت لوائها لتجعل من إمامتها علما للزعامة الدينية والسياسية في العالم الإسلامي

VII- الإحالات والمراجع:

(1) – محمود إسماعيل، الحركات السرية في الإسلام، ط:05، القاهرة: دار سينا للنشر، 1997م، ص:73.

(2) – النعمان بن محمد، تأويل الدعائم، ط:02، تح: محمد حسن الأعظمي، القاهرة: دار المعارف، (د.ت)، ج:01، ص ص:53، 54، 70.

(3) – النعمان بن محمد، تأويل الدعائم، ج:01، ص: 71 ؛ محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ط:01، بيروت: منشورات الفجر، 2007م، ج:01، ص:133 وما بعدها.

(4) – هذا الحديث ليس له أصل في كتب السنة، بل هو مروي في بعض كتب الشيعة دون إسناد.

(5) – حديث موضوع أخرجه الطبري في تهذيب الآثار والطبراني في المعجم الكبير والخطيب في تاريخ بغداد وغيرهم من طريق أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي عن أبي معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا، اتهم غير واحد من رجال الحديث أبا الصلت بالكذب وقالوا رافضي لم يكن بثقة. أنظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ط:01، الرياض: مكتبة المعارف، 2000م، ج:06، ص: 518 وما بعدها، حديث رقم 2955.

(6) – رواه الترمذي في صحيحه عن نصر بن عبد الرحمن الكوفي عن زيد بن الحسين عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله، وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه، بينما ذكر ابن تيمية أن جماعة من أهل العلم ضعفوه ومنهم أحمد بن حنبل في مسنده، أنظر: محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن الترمذي، ط:01، الرياض: مكتبة المعارف، 2000م، مج:03، ص ص:542، 543؛ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، منهاج السنة النبوية، ط:01، تح: محمد رشاد سالم، (د.م): (د.ن)، 1986م، ج:07، ص ص:394، 395.

(7) – سورة آل عمران، الآية:07.

(8) – الحجة: المرتبة الثالثة بعد الإمام والباب في تراتبية الدعاية الإسماعيلية، يشترك إثنا عشر داعيا من كبار الدعاة في هذه المرتبة، وهم موزعون على الأقاليم الإثني عشر المعنية بالدعاية، وكل حجة هو المسؤول الأول على جزيرته، يتلقى الحجة من الإمام جميع ما لديه من الحكمة، أي أنه مكلف مباشرة من الإمام ويتصل به اتصالا مباشرا دون وسائط، وهذا ما يفهم من كلام الحامدي بأن (علم الإمام متصل بحجته المقام للإبلاغ عنه والإعلام) ، وهو مكلف بنشر المعرفة التأويلية لمن له الحق، والحكم على الآراء والإعتقادات وإظهار تأويل النصوص. أنظر: النعمان بن محمد، المجالس والمسايرات، ط:01، تح: الحبيب الفقي وآخرون، بيروت: دار المنتظر، 1996م، ص ص:93، 94 ؛ إبراهيم بن الحسين الحامدي، كنز الولد، (د.ط)، تح: مصطفى غالب، بيروت: دار الأندلس، 1996م، ص:178 ؛ أحمد حميد الدين الكرماني، راحة العقل، ط:01، تح: مصطفى غالب، بيروت: دار الأندلس، 1967م، ص ص:252، 273، 437، 438.

(9) – جعفر بن منصور اليمن، كتاب الكشف، ط:01، تح: مصطفى غالب، بيروت: دار الأندلس، 1984م، ص:37؛ عبد المجيد بن حمدة، المدارس الكلامية بإفريقية، ط:01، تونس: مطبعة دار العرب، 1986م، ص:274.

(10) – عبد المنعم ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، ط:04، القاهرة: دار الفكر العربي، 1994م، ص ص: 278، 279.

(11) – إدريس عماد الدين، عيون الأخبار وفنون الآثار السبع السادس الخاص بأخبار الدولة الفاطمية، ط:02، تح: مصطفى غالب، بيروت: دار الأندلس، 1984م، ص ص:618، 619.

(12) – إدريس عماد الدين، المصدر نفسه، ص ص:618، 619.

(13) – محمد طه الحاجري، مرحلة التشيع في المغرب العربي، ط:01، بيروت: دار النهضة العربية، 1983م، ص ص:17، 18.

(14) – *Tahraoui Ramdane & Merah Souad, The Fatimid Educational Administration in Egypt, USA, International Journal of Humanities and Social Science, V:04, N:11, September 2014, p:137.*

(15) – أيمن شاهين (سلام)، المدارس الإسلامية في مصر العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني، أطروحة دكتوراه مرقونة، إشراف: أحمد عبد الحميد خفاجي، مصر: جامعة طنطا، 1999م، ص: 53.

(16) – محمد ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الإسلامية، ط:07، القاهرة: دار التراث، (د.ت)، ص:91.

(17) – معلوم أن التعليم لم يكن مقصورا على المساجد فقط، ولم ينتظم حتى ظهور المدارس النظامية التي أسّسها المسلمون منذ مطلع القرن الخامس للهجرة، بل كانت هناك مراكز تعليمية متعددة قبل ظهور المدارس بشكلها المعروف، حيث يشير

ابن تيمية أنه قرأ عن وجود مدارس في أثناء المائة الرابعة، واشتملت البلاد الإسلامية على عدد لا يحصى من المراكز التعليمية قبل ظهور المدارس المستقلة، مثل الكتاتيب وحلقات المساجد وأماكن الدراسة الأخرى كالقصور والربط والبيمارستانات، ومجالس المناظرة ومجالس الوعظ والتحديث في الدكاكين والأسواق والندوات الأدبية، ودور العلم ومنازل العلماء وخزائن الكتب التي نسميها اليوم بالمكتبات. أنظر: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الخلافة والملك، ط:02، تح: حماد سلامة، الأردن: مكتبة المنار، 1994م، ص:47 ؛ ناجي معروف، نشأة المدارس المستقلة في الإسلام، (د.ط)، بغداد: مطبعة الأزهر، 1966م، ص:06 ؛ وانظر أيضا:

- Moneer M. al-Otaibi and Hakim M. Rashid, Op cit, p:06

(18) – عبد الله عبد السلام الحداد، مقدمة في الآثار الإسلامية، ط:01، صنعاء: دار الشوكاني، 2003م، ص:30.

(19) - *Moneer M. al-Otaibi and Hakim M. Rashid, The role of schools in Islamic society historical and contemporary perspectives, USA, the American journal of Islamic social sciences, V:14, N:04, winter 1997, p:08.*

(20) – النعمان بن محمد، افتتاح الدعوة، ط:02، تح: فرحات الدشراوي، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، (د.ت)، ص: 53.

(21) – النعمان، افتتاح الدعوة، ص: 128.

(22) – إدريس عماد الدين، المصدر السابق، ص:211.

(23) – أبو العباس محمد بن أحمد بن محمد بن زكريا أخو أبي عبد الله الشيعي، يعرف بالمخطوم، أحد كبار دعاة الإسماعيلية في زمانه، رافق المهدي في رحلته من سلمية إلى بلاد المغرب أين ألقي عليه القبض من طرف السلطات الأغلبية بالقيروان، ثم فر منها إلى طرابلس وبعدها التحق بأخيه أبي عبد الله برقادة بعد استلائه عليها، واستخلفه على إفريقية قبيل مسيره إلى سجلماسة لتخليص عبيد الله المهدي من سجنه، وبعد قيام الدولة الفاطمية بالمغرب انقلب على المهدي وأخذ يغري أخاه عليه حتى بلغ الأمر إلى مسامع المهدي فقتلهما سنة 298هـ/910م. أنظر: أحمد بن علي المقريزي، المقفى الكبير، تح: محمد البعلاوي، ط:01، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1991م، ج:05، ص: 264 وما بعدها.

(24) – نجم الدين الهنتاني، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، (د.ط)، تونس: منشورات تبر الزمان، 2004م، ص: 158 ؛ موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، (د.ط)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979م، ص:412.

(25) – النعمان بن محمد، المجالس والمسايرات، ص ص:435، 467.

(26) – إدريس عماد الدين، المصدر السابق، ص:577.

(27) – يحيى بن أبي بكر أبو زكريا، سير الأئمة وأخبارهم، (د.ط)، تح: اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، 1979م، ص:153.

(28) – إدريس عماد الدين، المصدر السابق، ص ص:618، 619.

(29) – إدريس عماد الدين، المصدر نفسه، ص ص:618، 619.

(30) – النعمان، المجالس والمسايرات، ص ص: 386، 547.

(31) – علي بن النعمان بن محمد بن حيون التميمي، من قضاة مصر في عهد الفاطميين، قدم مع المعز رفقة والده وأهل بيته من المغرب إلى مصر، ولي القضاء سنة 366هـ واستمر في منصبه حتى وفاته سنة 374هـ. أنظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ط:15، بيروت: دار العلم الملايين، 2002م، ج:05، ص:29.

(32) – أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح: محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة: مؤسسة الأهرام، 1996م، ج:01، ص:227.

(33) – أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلس، كان يهوديا كاتبا، تولى مناصب مهمة في دولة كافور الإخشيدي وهو يهودي ثم أسلم سنة 356هـ/966م وانتقل إلى إفريقية واتصل بالمعز لدين الله الفاطمي وخدمه إلى أن ولاه الوزارة سنة 368هـ/978م واستمر في منصبه في عهد العزيز بالله إلى أن توفي سنة 380هـ/990م، كان يجمع العلماء بداره وهو أول من سعى لتنظيم التعليم والإنفاق عليه بمصر، وكان له تأليف في الفقه على المذهب الإسماعيلي يعرف بالرسالة الوزيرية. أنظر: أحمد بن محمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (د.ط)، تح: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، (د.ت)، ج:07، ص:27 وما بعدها.

(34) – أحمد بن علي المقريزي، الخطط المقريزية، ط:01، تح: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، القاهرة: مكتبة مدبولي،1997م، ج:03، ص:437 ؛ وانظر كذلك: أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية تفسير جديد، ط:01، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1992م ، ص ص: 383، 384 ؛ عبد المنعم ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، ط:04، القاهرة: دار الفكر العربي، 1994م، ص:273.

(35) – أبو علي منصور بن نزار العزيز بالله بن معد المعز لدين الله الفاطمي، لقب بالحاكم بأمر الله، ولد بالقاهرة سنة 375هـ/985م وتولى الخلافة بعد وفاة والده سنة 386هـ/996م وعمره إحدى عشرة سنة، عرف عنه متناقضات عديدة إذ كان يأمر بالشيء ثم يعاقب عنه، أو يعلي مرتبة وزير ثم يقتله، وقد قتل من أعيان الدولة وعامتها خلق كثير، وفي عهده ظهرت الدعوة الدرزية الداعية إلى تأليهه، فُقِد في سنة 411هـ/1020م وقيل اتفقت أخته ست الملك مع بعض أعيان الدولة على قتله حفاظا على الخلافة وبقائها. أنظر: الزركلي، المرجع السابق، ج:07، ص:305.

(36) – المقريزي، الخطط، ج: 02، ص ص:274، 275.

(37) – سلام، المرجع السابق، ص:55 ؛ ملكة أبيض، التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة، ط:01، بيروت: دار العلم للملايين، 1980م، ص:167 ؛ محمد عبد الله عنان، تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة في المشرق، (د.ط)، (د.م): دار أم البنين، (د.ت)، ص:42.

(38) – النعمان، افتتاح الدعوة، ص: 53، 132.

(39) – إدريس عماد الدين، المصدر السابق، ص:182.

(40) – إدريس عماد الدين، المصدر نفسه، ص ص:618، 619.

(41) – المقريزي، الخطط، ج: 02، ص ص: 121، 122.

(42) – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج: 02، ص: 82.

(43) – المقريزي، الخطط، ج: 02، ص: 122 ؛ وانظر كذلك: ماجد، المرجع السابق، ص: 276.

(44) – أبو عبد الله محمد بن النعمان بن محمد بن حيون التميمي، أحد كبار قضاة وفقهاء الإسماعيلية في عهد الفاطميين، تولى القضاء سنة 374هـ/984م بعد وفاة أخيه علي بن النعمان، واستمر في منصبه حتى وفاته سنة 389هـ/998م. أنظر: الزركلي، المرجع السابق، ج:07، ص:126.

(45) – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج:01، ص:285.

(46) – المقريزي، المصدر نفسه، ج:02، ص:54.

(47) – النعمان، المجالس والمسايرات، ص:547.

(48) – النعمان، المصدر نفسه، ص:547.

(49) – النعمان، تأويل الدعائم، ج:01، ص:57 ؛ المقريزي، الخطط، ج:02، ص:123 وما بعدها ؛ أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت)، ج:25، ص:116 وما بعدها.

(50) – النعمان، تأويل الدعائم، ج:01، ص ص:77، 78.

(51) – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج:01، ص:227.

(52) – المقريزي، المصدر نفسه، ج:02، ص: 175.

(53) – النعمان، افتتاح الدعوة، ص:49.

(54) – النعمان، المصدر نفسه، ص:132.

(55) – المصدر نفسه، ص:49.

(56) – أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني المعروف بابن الحداد، له تآليف عديدة منها كتاب "المقالات" وكتاب "الإستيعاب" وكتاب "عصمة النبيين" وغيرها كثير، كان فقيها متعبدا أوحد زمانه في المناظرة والرد على الفرق، توفي سنة 302هـ/914م. أنظر: عبد الرحمن بن محمد الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، (د.ط)، تح: محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضور، مصر: مكتبة الخانجي، (د.ت)، ج:02، ص:295 وما بعدها.

(57) – الخشني، طبقات علماء إفريقية، ط:01، تح: محمد زينهم محمد عزب، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1993م، ص:62 وما بعدها.

(58) – عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ط:01، تح: سعيد أحمد أعراب وآخرون، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون المغاربية، 1981م، ج:06، ص:252 وما بعدها.

(59) – النعمان، المجالس والمسايرات، ص ص: 546، 547.

(60) – النعمان بن محمد، تأويل الدعائم، ج:01، ص ص:61، 62، 85 ؛ المؤيد في الدين الشيرازي، المجالس المؤيدية، ط:01، تح: محمد عبد الغفار، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1994م ، ص-ص: 33- 36، 105-106، 113، 162.

(61) – محمد عبد الله عنان، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ط:03، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1983م، ص: 34.

(62) – النعمان بن محمد، تأويل الدعائم، ج:01، ص: 54، 60 ؛ الشيرازي، المجالس المؤيدية، ص ص: 71، 81، 96، 276، 301.

(63) – المصدر نفسه، ص: 185، انظر كذلك: نفسه، ص ص: 192، 194، 199، 291، 299، 325، 329، 334.

(64) – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج:02، ص:175.

(65) – النعمان، المجالس والمسايرات، ص ص: 386، 546، 547 ؛ الشيرازي، المصدر نفسه، ص: 194.

(66) – الكليني، المصدر السابق، ج:01، ص:32 وما بعدها ؛ النعمان بن محمد، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، (د.ط)، تح: آصف بن علي أصغر فيضي، القاهرة: دار المعارف، 1963م، ج:01، ص:84 وما بعدها.

(67) – النعمان بن محمد، تأويل لدعائم، ج:01، ص:59، 67 ؛ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط:01، بيروت: مؤسسة الأعلمي، 2008م، ج:02، ص:328 وما بعدها.

(68) – بول ووكر، الفكر الإسماعيلي في عهد الحاكم بأمر الله، ط:01، تر: سيف الدين القصير، دمشق: دار المدى، 1980م، ص ص:81، 82.

(69) – ووكر، المرجع نفسه، ص ص:121، 122، 126.

(70) – علي سلطاني العاتري، الدعاية الإسلامية في عهد بني أمية، دورية كان التاريخية، (د.م)، ع:21، سبتمبر 2013م، ص:177.

(71) – بوبة مجاني وآخرون، من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، ط:01، قسنطينة، دار بهاء الدين، 2007م، ص:114.

(72) – جعفر بن منصور اليمن، كتاب الكشف، ص:37 ؛ بن حمدة، المرجع السابق، ص:274.

(73) – عنان، الحاكم بأمر الله، ص:262.

(74) – بوبة مجاني وآخرون، المرجع السابق، ص:105.

(75) – أحمد عرفات القاضي، الفكر السياسي عند الباطنية وموقف الغزالي منه، (د.ط)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م، ص:180؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي الديني الثقافي والإجتماعي، ط:14، بيروت: دار الجيل، 1996م، ج: 04، ص:405؛ محمد منير حجاب، الإعلام الإسلامي المبادئ النظرية والتطبيق، ط:02، القاهرة: دار الفجر، 2002م، ص ص:117، 118.

(76) – فتحي شهاب الدين، أوراق في التربية السياسية، ط:01، القاهرة: مؤسسة إقرأ، 2011م، ص:17 وما بعدها.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبيض (ملكة)، التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة، ط:01، بيروت: دار العلم للملايين، 1980م.

2. إسماعيل (محمود)، الحركات السرية في الإسلام، ط:05، القاهرة: دار سينا للنشر، 1997م.
3. الألباني (محمد ناصر الدين)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ط:01، الرياض: مكتبة المعارف، 2000م.
4. الألباني (محمد ناصر الدين)، صحيح سنن الترمذي، ط:01، الرياض: مكتبة المعارف، 2000م.
5. بوبة مجاني وآخرون، من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، ط:01، قسنطينة، دار بهاء الدين، 2007م.
6. ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم)، الخلافة والملك، ط:02، تح: حماد سلامة، الأردن: مكتبة المنار، 1994م.
7. ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم)، منهاج السنة النبوية، ط:01، تح: محمد رشاد سالم، (د.م): (د.ن)، 1986م.
8. الحاجري (محمد طه)، مرحلة التشيع في المغرب العربي، ط:01، بيروت: دار النهضة العربية، 1983م.
9. الحامدي (إبراهيم بن الحسين)، كنز الولد، (د.ط)، تح: مصطفى غالب، بيروت: دار الأندلس، 1996م.
10. حجاب (محمد منير)، الإعلام الإسلامي المبادئ النظرية والتطبيق، ط:02، القاهرة: دار الفجر، 2002م.
11. الحداد (عبد الله عبد السلام)، مقدمة في الآثار الإسلامية، ط:01، صنعاء: دار الشوكاني، 2003م.
12. حسن (إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي الديني الثقافي والإجتماعي، ط:14، بيروت: دار الجيل، 1996م.
13. بن حمدة (عبد المجيد)، المدارس الكلامية بإفريقية، ط:01، تونس: مطبعة دار العرب، 1986م.
14. الخشني، طبقات علماء إفريقية، ط:01، تح: محمد زينهم محمد عزب، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1993م.
15. ابن خلكان (أحمد بن محمد)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (د.ط)، تح: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، (د.ت).
16. الدباغ (عبد الرحمن بن محمد)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، (د.ط)، تح: محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضور، مصر: مكتبة الخانجي، (د.ت).
17. الريس (محمد ضياء الدين)، النظريات السياسية الإسلامية، ط:07، القاهرة: دار التراث، (د.ت).

18. الزركلي (خير الدين)، الأعلام، ط:15، بيروت: دار العلم الملايين، 2002م.

19. أبو زكريا (يحي بن أبي بكر)، سير الأئمة وأخبارهم، (د.ط)، تح: اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، 1979م.

20. سلام (أيمن شاهين)، المدارس الإسلامية في مصر العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني، أطروحة دكتوراه مرقونة، إشراف: أحمد عبد الحميد خفاجي، مصر: جامعة طنطا، 1999م.

21. سيد (أيمن فؤاد)، الدولة الفاطمية تفسير جديد، ط:01، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1992م.

22. شهاب الدين (فتحي)، أوراق في التربية السياسية، ط:01، القاهرة: مؤسسة إقرأ، 2011م.

23. الشيرازي (المؤيد في الدين)، المجالس المؤيدية، ط:01، تح: محمد عبد الغفار، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1994م.

24. العاتري (علي سلطاني)، الدعاية الإسلامية في عهد بني أمية، دورية كان التاريخية، (د.م)، ع:21، سبتمبر 2013م.

25. عرفات القاضي (أحمد)، الفكر السياسي عند الباطنية وموقف الغزالي منه، (د.ط)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م.

26. عماد الدين (إدريس)، عيون الأخبار وفنون الآثار السبع السادس الخاص بأخبار الدولة الفاطمية، ط:02، تح: مصطفى غالب، بيروت: دار الأندلس، 1984م.

27. عنان (محمد عبد الله)، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ط:03، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1983م.

28. عنان (محمد عبد الله)، تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة في المشرق، (د.ط)، (د.م): دار أم البنين، (د.ت).

29. عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ط:01، تح: سعيد أحمد أعراب وآخرون، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون المغاربية، 1981م.

30. الكرماني (أحمد حميد الدين)، راحة العقل، ط:01، تح: مصطفى غالب، بيروت: دار الأندلس، 1967م.

31. الكليني (محمد بن يعقوب)، أصول الكافي، ط:01، بيروت: منشورات الفجر، 2007م.

32. لقبال (موسى)، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، (د.ط)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979م.

33. ماجد (عبد المنعم)، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، ط:04، القاهرة: دار الفكر العربي، 1994م.

34. المجلسي (محمد باقر)، بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط:01، بيروت: مؤسسة الأعلمي، 2008م.

35. معروف (ناجي)، نشأة المدارس المستقلة في الإسلام، (د.ط)، بغداد: مطبعة الأزهر، 1966م.

36. المقريزي (أحمد بن علي)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح: محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة: مؤسسة الأهرام، 1996م.

37. المقريزي (أحمد بن علي)، الخطط المقريزية، ط:01، تح: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، القاهرة: مكتبة مدبولي،1997م.

38. المقريزي (أحمد بن علي)، المقفى الكبير، تح: محمد البعلاوي، ط:01، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1991م.

39. ابن منصور اليمن (جعفر)، كتاب الكشف، ط:01، تح: مصطفى غالب، بيروت: دار الأندلس، 1984م.

40. النعمان بن محمد، افتتاح الدعوة، ط:02، تح: فرحات الدشراوي، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، (د.ت).

41. النعمان بن محمد، تأويل الدعائم، ط:02، تح: محمد حسن الأعظمي، القاهرة: دار المعارف، (د.ت).

42. النعمان بن محمد، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، (د.ط)، تح: آصف بن علي أصغر فيضي، القاهرة: دار المعارف، 1963م.

43. النعمان بن محمد، المجالس والمسايرات، ط:01، تح: الحبيب الفقي وآخرون، بيروت: دار المنتظر، 1996م.

44. النويري (أحمد بن عبد الوهاب)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).

45. الهنتاني (نجم الدين)، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، (د.ط)، تونس: منشورات تبر الزمان، 2004م.

46. ووكر (بول)، الفكر الإسماعيلي في عهد الحاكم بأمر الله، ط:01، تر: سيف الدين القصير، دمشق: دار المدى، 1980م.

47. Moneer M. al-Otaibi and Hakim M. Rashid, The role of schools in Islamic society historical and contemporary perspectives, USA, the American journal of Islamic social sciences, V:14, N:04, winter 1997.

48. Tahraoui Ramdane & Merah Souad, The Fatimid Educational Administration in Egypt, USA, International Journal of Humanities and Social Science, V:04, N:11, September 2014